ليهود (إسرائيل) في قلب العالم الإسلامي لإنهاكه وإذلاله، هذا كله إنما وقع على المسلمين بذنوبهم كما قال تعالى: ن مصيبة فبما كسبت أيديكم..) (الشورى:30)، ومازال هذا ادي يفرض وصايته على بلاد المسلمين ويطلب منهم نازلات مصدقًا لقوله تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا تتبع ملتهم) (البقرة:120).

شار الثقافة الأوروبية والعمل بقوانينهم إلى شيوع الفساد لق في بلاد المسلمين، وتنبه أفاضل المسلمين لهذا الخطر، ركه قبل نزول النقمة الإلهية وحلول الهلاك العام، ورأوا أن سلمين إلى تحكيم شريعة ربهم هو أساس كل صلاح للبلاد ً عن أن تحكيم الشريعة هو واجب على كل مسلم بمقتضى أثم ويختل إيمانه بتركه لقوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت يما) (النساء:65)، وقوله تعالى: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ضل ضلالاً مبيناً) (الأحزاب:36)، فالإعراض عن شريعة الله ب الدنيا والآخرة، كما أن تحكيم شريعته يجمع للمسلمين والآخرة كما قال تعالى: ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا بركات من السماء والأرض) (الأعراف:96)، وتاريخ المسلمين ى عزهم وانتصارهم وغناهم حين تمسكوا بشريعتهم وهذا لامي المشرق هو الشيء الوحيد الذي يمكن للمسلمين أن العصر الحاضر.

سيد إمام من «العدة» إلى «النصيحة»

د. كمال حبيب
متخصص في شؤون الجماعات الإسلامية

فكري هائل نقل الدكتور فضل -كما كان ه- مسافات واسعة من عوالم التنظيمات هاليزها المعتمة، والإعداد للجهاد والعدة ستان في الثمانينيات في كتابه «العمدة في دة» إلى عوالم الأمة (أمة الدعوة والإجابة) ها في كتابه «النصيحة في التقرب إلى الله بينهما كان كتاب «الجامع في طلب العلم لذي حاول فيه الرجل أن يؤسس لعلم جديد حتى عن علماء السلف الذي يكنّ لهم الاحترام وفي المرحلة الأولى نجد كتاب «العمدة في ة» والذي ألّفه بتكليف من قادة المجاهدين ترتيب أوضاع معسكرات الجهاد وتنظيم ها، وقد بدا المؤلف مجتهدا في سياق قواعد ي التقليدي، وهو ما يجعلنا نرجح أنه كتبه ن لا يزال منتمياً إلى تنظيم الجهاد المصري، ب «الجامع في طلب العلم الشريف» والذي يعد ضخمة تزيد على الألف صفحة في مجلدين لف عبدالقادر بن عبدالعزيز -كما كان يطلق ماً- ينتقل من الفقه إلى العقيدة ويحاول لقواعد علمية جديدة يتجاوز بها علماء خرج على مناهجهم في التفكير والتخريج، اكتشاف الحق وبناء فرقة ناجية لها طابع مثالي، وهنا يواجه المؤلف -في تقديرنا- ة تجعله ينتقل من الأحكام العلمية الفقهية ايا العلمية الاعتقادية التأسيسية، وهو ما يجعلنا نقطع بأن الكتاب ألّفه المؤلف بعد انفصاله عن تنظيم الجهاد عام 1993، وفي الواقع فإن النموذج الذي يسعى إلى تأسيس «نظرية معرفة جديدة» هو تعبير عن نفسية تواجه «أزمة»، وفي الحالة الإسلامية المعاصرة نجد أن من حاول أن يفعل ذلك هو «شكري مصطفى» أمير جماعة المسلمين -المعروفة بالتكفير والهجرة-. وفكر التكفير في التحليل النهائي هو تعبير عن موقف نفسي من المجتمع والجماعة والأمة، ويبدو «سيد إمام» في كتاب الجامع مغاضباً للتنظيم الذي كان ينتمي إليه وتركه، ومن هنا توسع في أحكام التكفير على الناس، كما صب جام غضبه على دوائر عديدة لم تسلم من انتقاداته مثل الجماعة الإسلامية والإخوان المسلمين، ويبدو أنه تنبه إلى أن الكتب التي كتبها قد جرى توظيفها في صراعات أنتجت دماء وقتلى بشكل لم يكن يريده أو يرغبه أو يقصده، وهنا شعر بالقلق والخوف والتوتر فهو كان يقصد بالأساس هداية الناس وإرشادهم إلى أن يكونوا من «الفرقة الناجية»، إنه يبحث عن المسلم الكامل المثالي ومن ثم فقد كان متوقعا له مساراً فكريا جديدا يخرجه من أزمته النفسية التي ألمت به وهو العودة مرة أخرى إلى مرافئه الأولى، وهي الانتقال من «فقه الضرورة والاستثناء» إلى فقه الجماعة والأمة»، والانتقال بخطابه من فئة خاصة أو منظمة إلى عموم الناس جميعا، فطبيعة الدعوة الإسلامية أنها للناس كافة، ومن ثم كان كتابه «النصيحة في التقرب إلى الله»، وكان كتابه «وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم»، وفي الكتابين الأخيرين ينتقل المؤلف من لغة القطيعة والمغاضبة إلى حديث التواصل والمؤانسة، ومن لغة الاعتداد والشقاق إلى لغة التواضع وخفض الجناح.

اكتشف «سيد إمام عبدالعزيز الشريف» أنه في مسيرته الحركية والتنظيمية التي امتدت لما يزيد على الثلاثين عاماً أن علمه ليس إحياءً أو تجديدا لأنه لا يستخدمه كما كان يفعل العلماء الكبار من أجل الأمة، وإنما في مواجهتها، ومن ثم فإن أي علوم تستخدم لإطلاق أحكام على عموم الأمة بالتكفير أو الخروج من الملة أو الردة هي تعبير عن مشكلة نفسية ولا تدخل ضمن حركة التجديد أو الإحياء بأي حال، وفي الخبرة الإسلامية عرفنا علماء كبارا مثل «أبي حامد الغزالي» الذي كتب كتاب «إحياء علوم الدين» لمواجهة النزعة الفلسفية التي فشت في العالم الإسلامي في ذلك الوقت (القرن الخامس الهجري)، وكان قد اشتغل بالفلسفة والتصوف حينا من الدهر، لكنه رجع عنهما من أجل أمته، وكذلك سيد إمام حين يراجع ما كتبه فإنه يفعل ذلك من أجل مصير أمته وأجيالها القادمة بإرادة حرة ووعي مدرك أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولا يمنع المرء اجتهاد اجتهد فيه فراجع فيه عقله وهُدي فيه إلى رشده أن يرجع إلى الحق فإنه قديم لا يبطله شيء.